

مفاهيم القرآن

(204) 1. انّ الظاهر من الآية هو تعلق إرادة خاصة بإذهاب الرجس عن أهل البيت، والخصوصية إنّما تتحقّق لو كانت الإرادة تكوينية، إذ لو كانت تشريعية لما اختصت بطائفة دون طائفة، لأنّ الهدف الاسمي من بعث الانبياء هو إبلاغ تشريعاته ودساتيره إلى الناس عامة لا لآل ناس معيّنين، ولا جل ذلك ترى أنّه سبحانه عندما شرّع للمسلمين الوضوء والغسل بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا...) علّله بقوله: (وَلَا يَكُنْ لَكُمْ لِيطَافَهُمْ فَكُلُوا مِنْهُم مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ اللَّاتِي لَمْ يَكُن لهنَّ زِينَةٌ مِن قَبْلِهَا وَلَا مَالٌ كَثِيرٌ وَلَا يَكُن لَهُنَّ حُلُمٌ عَظِيمٌ) (1) الخاطب سبحانه المؤمنين عامة بالوضوء والغسل وعلّل تشريعه العام بتطهيرهم وإتمام نعمته عليهم وهذا بخلاف الآية التي نحن بصددّها، فإنّها خصّت إرادة تطهيره بجمع خاص تجمعهم كلمة "أهل البيت" وخصّهم بالخطاب وقال: "عنكم أهل البيت" أي لا غيركم. وبالجملة فتخصيص تعلق الإرادة بجمع خاص على الوجه الوارد في الآية، يمنع من تفسير الإرادة بالإرادة التشريعية التي عمّت الامة جميعاً. نعم لا يتوهم من ذلك أنّ أهل البيت خارجون عن إطار التشريع، بل التشريع في كل المجالات يعمّهم كما يعم غيرهم، ولكن هنا إرادة تكوينية مختصة بهم. 2. انّ العناية البارزة في الآية المباركة أقوى شاهد على أنّ المقصود بالإرادة، الإرادة التكوينية لا التشريعية، لوضوح أنّ تعلق الإرادة التشريعية بأهل البيت لا يحتاج إلى العناية في الآية، وإليك بيان تلك العناية:

(1) المائدة: 6.